لقاء الأسد ـ شويغو يثير قلق الأميركيين

سلّطت الصحف الغربية الضوء على الزيارة التي قام بها وزير الدفاع الروسي إلى سورية، واللقاء الذي جمعه بالرئيس السوري بشار الأسد. مبيّنة استياء الإدارة الأميركية من الأداء الروسي في سورية، مدّعية أن القوات الروسية تقصف مواقع لجماعات تسمّيها أميركا «معارضة معتدلة».

الصحف الروسية كانت في المرصاد، وفي هذا السياق، نشرت صحيفة «نيزافيسيمايا غازيتا» تقريراً تناولت فيه زيارة وزير الدفاع الروسي إلى سورية، لافتة إلى أن القوات الجو.فضائية تواصل قصفها المكثف لـ«المعارضة» غير المهادنة. وقالت الصحيفة: بتكليف من الرئيس فلاديمير بوتين، قام وزير الدفاع سيرغي شويغو بزيارة إلى سورية، تفقد خلالها القاعدة الروسية في حميميم، والتقى الرئيس السوري بشار الأسد. وبحسب مصدر في وزارة الدفاع الروسية، فقد ناقش شويغو مع الأسد خلال اللقاء مسائل متعلقة بالتعاون في المجال العسكري.التقني، وكذلك آفاق التعاون في مكافحة المجموعات الإرهابية في سورية.

ونقلت الصحيفة عن الخبير العسكري يوري نيتكاتشيف قوله: «نحن نتذكر الجعجعة التي أعلنوا فيها عن دخول حاملتي الطائرات إلى البحر الأبيض المتوسط، التي كان عليها تحدي نشاط روسيا في مكافحة المعارضة المعتدلة التي تقاتل ضد الأسد وضدّ داعش، ولكنها لم تنجح».

وعلى خلفية تصريحات شديدة اللهجة للخارجية الأميركية حول قضية سورية، وحول الأهداف الحقيقية لزيارة وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو إلى سورية ولقائه الرئيس بشار الأسد، قال الخبير الروسي سيرغي دولغوف، كبير الباحثين في مركز الدراسات العربية والإسلامية التابع لمعهد الاستشراق في أكاديمية العلوم الروسية، في حديث إلى صحيفة «موسكوفسكي كومسومولييتس» الروسية: «أصبحت هذه الزيارة لوزير الدفاع الروسي مفاجئة بالنسبة إلى الخبراء، وذلك رغم قيامه بزيارات إلى سورية من وقت إلى آخر، لكن هذا اللقاء مع الأسد مهم، وبالطبع هو مرتبط، من جهة بمذكرة موظفي الخارجية الأميركية، الذين طالبوا سلطات الولايات المتحدة باتخاذ خطوات أكثر حزماً ضد الجيش الحكومي السوري، ومرتبط، من جهة أخرى، بشكاوى الولايات المتحدة من أعمال القوات الجوية الفضائية الروسية».

وتابع الخبير الروسي: «أعتقد أن شويغو وصل إلى سورية من أجل أن يحدّد على الأرض ما هو مسار عمليات القوات الجوية الفضائية الروسية وما هي الأوضاع في سورية... إن الهدف الآخر لزيارة وزير الدفاع الروسي إلى سورية تمثل بتفقد سير عملية توقيع الاتفاق حول وقف إطلاق النار مع المجموعات المسلحة التي تعمل ضد قوات بشار الأسد ولا تعدّ في الوقت ذاته راديكالية».

FOREIGN AFFAIRS

«فورين آفيرز»: حرب بين الجهاديين

نشرت مجلة «فورين آفيرز» الأميركية تقريراً جاء فيه: أثار الهجوم الوحشي الأخير الذي وقع في ملهى للمثليين في أورلاندو تساؤلات حول ما إذا كان قد حدث تحول في استراتيجية «دولة الخلافة» وميلها نحو اتّباع نهج «القاعدة». الهجوم الذي نفذه الأفغاني الأصل عمر متين، الذي أوقع قرابة 50 قتيلاً، يأتي بعد دعوة تنظيم «داعش» إلى شنّ هجمات فردية ضدّ الغرب. وهو يمثل الحلقة الأحدث بعد سلسلة هجمات ضربت كلّاً من باريس وبروكسل. ولو صحّت تلك النظرية، فهذا يعني أنه قد يحدث تحالف بين «القاعدة» و«داعش» رغم العداء الظاهري، حسبما صرّح به الباحث في شؤون الإرهاب بروس هوفمان.

يعتقد هوفمان أنه قد يحدث تعاون محدود بين الفصيلين من أجل تنفيذ عمليات نوعية. إلا أن أكثر ما يقلق المراقبين، احتمالية ذوبان «القاعدة» في «داعش» الذي يبدو أنه ينجح. ولكن الهزائم المتتالية لـ«داعش» مؤخراً في تدمر والرمادي وسنجار قلبت الآية. فقد يؤدّي ذلك إلى تداعيات كبرى على «دولة الخلافة».

ورغم أن «القاعدة» و«داعش» يتشابهان من حيث كونهما من خلفية سلفية وسعيهما المتواصل إلى إعادة «الخلافة»، إلا أن الاختلافات الكبرى بينهما تُبقي احتمال التحالف منخفضاً. يسعى «داعش» إلى إقامة «دولة» بالسيطرة على مساحات واسعة يقطنها الملايين، أما «القاعدة» فمصادرها محدودة وتؤجّل خطوة إقامة «الخلافة» حتى تضمن إمكانية بقائها.

يقول الكاتب إنه في أعقاب انهيار «القاعدة» في العراق، الفرع الذي انبثق منه تنظيم «داعش»، سعى التنظيم إلى التحسين من صورته، فأعرب قادته عن إعجابهم بـ«الربيع العربي»، وأنهم في حاجة إلى استمالة عقول المسلمين حتى ينجحوا. كما أدان التنظيم إعلان «داعش» «الخلافة» لأنه لم يسمح للمسلمين باختيار «خليفتهم».

يقول الخبير في الشأن السوري تشارلز ليستر إن «القاعدة» تسعى إلى إقامة «إمارة إسلامية» في شمال سورية، وأن التنظيم يتعاون مع جماعات إسلامية أخرى، مثل «أحرار الشام»، في إدارة المناطق التي جرت السيطرة عليها.

إلا أن تنظيم «داعش» في المقابل يشترط انصهار الفصائل في «دولة الخلافة» ويرفض تشارك السلطة، لا سيما في العراق وسورية. ولكن تتمتع بعض أفرع «داعش» ببعض الاستقلالية في مناطق أخرى. فجماعتا «أنصار بيت المقدس» في مصر و«بوكو حرام» في نيجيريا تتلقيان التوجيهات والموارد من التنظيم الأمّ لكنهما تحتفظان ببنيتهما التنظيمية.

يشير التقرير إلى أن التحالف بين الفصيلين مستبعد ما لم يتخلَّ «داعش» عن شرط الانصياع لها ويخفّف من حدة خطابه تجاه الجماعات الجهادية الأخرى.

إلا أن تطوّرات الحربين السورية والعراقية وتدخّل قوى دولية وإقليمية فيهما، كل ذلك قد يدفع التنظيمين إلى تنحية الخلافات جانباً والتحالف. فوجود قوات أجنبية يمنح رؤيتهم مصداقية من أنها حرب على المسلمين السنّة، وأن الدول السنّية تقف متفرجة على إبادة السنّة، وأن فصائل «المعارضة» المدعومة أميركياً لا يمكن الوثوق بها.

وما يزيد من صعوبة الأمر، مثلما يشير التقرير، تعطّش «داعش» للسلطة والصراع على الزعامة بين قيادات التنظيمين، وتعارض المصالح بينهما، واختلاف أساليب تعاملهما مع العامة.

يحاول تنظيم «داعش» تقويض أركان تنظيم «القاعدة» باتّباع أساليب تخريبية وتأليب مقاتليه ضدّ القيادات وحثّ كافة فروعه على إعلان الولاء لـ«دولة الخلافة». إلا أن كل تلك المحاولات فشلت، وظلت «القاعدة» متماسكة تحت إمرة الظواهري. بيد أن بعض المقاتلين بمن فيهم قليل من الشخصيات البارزة أعلنت ولاءها لـ«داعش». وقد شهدت رقعة عمليات التنظيم تمدّداً في أفغانستان وغرب أفريقيا.

يقول الكاتب إن صمود «القاعدة» إلى حدّ الآن يشير إلى أنها لن تستسلم لـ«داعش»، خصوصاً في أعقاب الهزائم المتلاحقة للأخير وفقدانه الكثير من الأراضي. لكن قد يحدث تعاون بين أفراد التنظيمين خارج الشرق الأوسط. وقد تدفع الخسائر التي مُني بها «داعش» إلى دعوة مقاتلي «القاعدة» للتحالف من أجل تخفيف الضغط عن «داعش».

تُعدّ العلاقة بين التنظيمين ذات أهمية بالنسبة إلى صانعي القرار في أميركا. ولكن في مسعى الولايات المتحدة للقضاء على كلا التنظيمين، يجب عليها الانتباه إلى أن بعض الإجراءات، مثل قتل البغدادي أو الظواهري أو دعم فصائل سنّية ضدّ أخرى، قد يؤدّي إلى التحالف بينهما.

تتبدل الساحة الجهادية سريعاً ويتعين على الولايات المتحدة اتباع نهج أكثر شمولية في تقييم الخطر الذي يمثله كلا التنظيمين. ويتعين على الغرب الانتباه أكثر إلى العلاقة بين «القاعدة» و«داعش»، والأخذ في الاعتبار تأثير العمليات ضدّ أحدهما على الآخر وعلى الحركة الجهادية الأوسع.

НЕЗАВИСИМАЯ

«نيزافيسيمايا غازيتا»: موسكو تحبط محاولة واشنطن تنفيذ الخطة «باء»

تناولت صحيفة «نيزافيسيمايا غازيتا» زيارة وزير الدفاع الروسي إلى سورية، لافتة إلى أن القوات الجو ـ فضائية تواصل قصفها المكثف لـ«المعارضة» غير المهادنة.

وجاء في المقال: بتكليف من الرئيس فلاديمير بوتين، قام وزير الدفاع سيرغي شويغو بزيارة إلى سورية، تفقد خلالها القاعدة الروسية في حميميم، والتقى الرئيس السوري بشار الأسد.

وبحسب مصدر في وزارة الدفاع الروسية، فقد ناقش شويغو مع الأسد خلال اللقاء مسائل متعلقة بالتعاون في المجال العسكري ـ التقني، وكذلك آفاق التعاون في مكافحة المجموعات الإرهابية في سورية.

وكان الوزير شويغو قد وصل إلى سورية برفقة نائبه جنرال الجيش دميتري بولياكوف، المسؤول عن تجهيز الجيش الروسي؛ ما يشير إلى أن أحد أهداف الزيارة كان تحسين حماية القاعدة، حيث من المنتظر أن يتم تزويدها بالمعدّات والذخائر اللازمة، وتكثيف المساعدات العسكرية والإنسانية لدمشق.

ومن الواضح أن موسكو بهذا، تؤكد عدم تخليها عن دعم الرئيس بشار الأسد، وأنها ستستمر بنشاط في محاربة الإرهابيين والسعي إلى تسوية سلمية للنزاع السوري.

من جانبها، تستمر الولايات المتحدة في تنفيذ الخطة «باء». أي ضمان الدعم السياسي ـ العسكري لما تسميه «المعارضة المعتدلة» في سورية، والضغط دبلوماسياً على القيادة الروسية.

ففي يوم السبت الماضي، وقعت حادثة شاركت فيها قاذفات القنابل الروسية «سوخوي 24» والقاذفات الأميركية «أف إي 18» المقاتلة، التي ترابط على حاملة الطائرات في البحر الأبيض المتوسط.

وتقول قناة «CNN» الإخبارية، استناداً إلى مصدر في البنتاغون، إن الطائرات الروسية نفّذت سلسلة هجمات على مواقع المسلحين المدعومين من الولايات المتحدة قرب مخيم التنف الواقع على بعد ستة أميال شمال الحدود الأردنية.

وتؤكد القناة أن الطيارين الأميركيين الذين وصلوا إلى هذه المنطقة حاولوا الاتصال بالطيارين الروس عبر قناة الاتصال المتفق عليها سابقاً، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك.

من جانبه، يقول الخبير العسكري يوري نيتكاتشيف إن الحادثة تظهر تهافت خطط البنتاغون في سورية. وأضاف: «نحن نتذكر الجعجعة التي أعلنوا فيها عن دخول حاملتي الطائرات إلى البحر الأبيض المتوسط، التي كان عليها تحدي نشاط روسيا في مكافحة المعارضة المعتدلة التي تقاتل ضد الأسد وضدّ داعش، ولكنها لم تنجح».

وقد ناقش المسؤولون في وزارتَي دفاع البلدين يوم 18 الجاري عبر الفيديو؛ حيث صرّح الجنرال إيغور كوناشينكوف بأنه لا يفهم مأخذ البنتاغون، لأن الموقع الذي هاجمته الطائرات الروسية يقع على بعد 300 كيلومتر عن حدود المنطقة، التي أعلن البنتاغون أنها مواقع «المعارضة» التي انضمّت إلى اتفاق الهدنة. وأضاف أن الطائرات الروسية قامت بواجبها ضمن إطار الاتفاقيات. وقد تم إبلاغ أعضاء التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة بالمواقع التي ستهاجمها الطائرات قبل تنفيذ العملية. وأكد الجنرال الروسي أن الجانب الأميركي خلال تنفيذ العملية لم يعلمنا بإحداثيات المناطق التي ترابط فيها فصائل هذه «المعارضة»؛ ما أعاق اتخاذ ما يلزم لتكون أهداف الطائرات الروسية أكثر دقة.

هذا، وتوضح وزارة الدفاع الروسية سبب وقوع هذا الحادث، وتشير إلى أنها منذ عدة أشهر تقترح على الزملاء الأميركيين وضع خريطة موحدة تضمّ المعلومات الحيوية عن مواقع القوى العاملة في سورية. و«لكننا لم نتوصل إلى أيّ تقدم في هذا المجال». لأن الولايات المتحدة ترفض التعاون بصورة مكثفة في المجال العسكري في سورية، وهذا يعني أن مثل هذه الحوادث يمكن أن تتكرّر.

ويبدو أن هذا لا يخيف البنتاغون، لأنه يعزّز من وجوده في المنطقة بواسطة حاملات الطائرات والسفن الحربية. كما أن عدداً من ساسة الولايات المتحدة دعوا أوباما إلى توجيه ضربات جوية إلى الجيش السوري. كذلك، ناقشت اللجنة العسكرية في مجلس الشيوخ مسألة فرض منطقة حظر جوي في سورية وإسقاط الطائرات الروسية التي تنتهكها.

وتشير وسائل الإعلام العربية إلى أن طائرات القوة الجو ـ فضائية الروسية كثّفت من هجماتها على مواقع الإرهابيين، خصوصاً في محافظتَي حمص والرقة؛ حيث تتقدّم القوات الحكومية نحو مدينة الرقة.

أما صحيفة «تلغراف»، فتفسّر سبب استياء البنتاغون من نشاط الطائرات الروسية في منطقة مخيم التنف، بأنها سبقت الطائرات الأميركية إلى المنطقة، وتمكّنت من تدمير قاعدة «جيش سورية الجديد»، المتمرّد الموالي للغرب، ومن القضاء على نصف أعضاء هذه المجموعة التي تنتهك اتفاق الهدنة، وكانت تنسق نشاطها مع القوات البريطانية والأميركية والأردنية الخاصة في محاربة «داعش».

MK

«موسكوفسكي كومسومولييتس»: الأهداف الحقيقية لزيارة وزير الدفاع الروسي إلى سورية

على خلفية تصريحات شديدة اللهجة للخارجية الأميركية حول قضية سورية، قام وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو بزيارة مفاجئة إلى البلاد حيث التقى الرئيس بشار الأسد وتفقد قاعدة حميميم الروسية.

وجاءت هذه الزيارة فور توجيه واشنطن اتهامات سافرة إلى دمشق بخرق نظام وقف الأعمال القتالية، الذي تم فرضها في سورية، في شباط الماضي، وعلى خلفية التقارير التي تحدثت عن توقيع أكثر من 50 موظفاً في الخارجية الأميركية على وثيقة دعوا فيها الرئيس باراك أوباما إلى إطلاق حملة عسكرية ضدّ القوات الموالية لبشار الأسد.

وحول الأهداف الحقيقية لزيارة وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو إلى سورية ولقائه الرئيس بشار الأسد، قال الخبير الروسي سيرغي دولغوف، كبير الباحثين في مركز الدراسات العربية والإسلامية التابع لمعهد الاستشراق في أكاديمية العلوم الروسية، في حديث إلى صحيفة «موسكوفسكي كومسومولييتس» الروسية: «أصبحت هذه الزيارة لوزير الدفاع الروسي مفاجئة بالنسبة إلى الخبراء، وذلك رغم قيامه بزيارات إلى سورية من وقت إلى آخر، لكن هذا اللقاء مع الأسد مهم، وبالطبع هو مرتبط، من جهة بمذكرة موظفي الخارجية الأميركية، الذين طالبوا سلطات الولايات المتحدة باتخاذ خطوات أكثر حزماً ضد الجيش الحكومي السوري، ومرتبط، من جهة أخرى، بشكاوى الولايات المتحدة من أعمال القوات الجوية الفضائية الروسية».

وتابع الخبير الروسي: «أعتقد أن شويغو وصل إلى سورية من أجل أن يحدّد على الأرض ما هو مسار عمليات القوات الجوية الفضائية الروسية وما هي الأوضاع في سورية».

وأضاف دولغوف أن الهدف الآخر لزيارة وزير الدفاع الروسي إلى سورية تمثل بتفقد سير عملية توقيع الاتفاق حول وقف إطلاق النار مع المجموعات المسلحة التي تعمل ضد قوات بشار الأسد ولا تعدّ في الوقت ذاته راديكالية.

من جانب آخر، توقف دولغوف عند التركيز الغربي الكبير على الدور الروسي في سورية، معيداً إلى الأذهان أن وحدات «قوات سورية الديمقراطية» التي تتكون أساساً من المقاتلين الأكراد، تواصل هجومها على مدينة الرقة، أكبر معاقل تنظيم «داعش» في سورية، وذلك بدعم من قبل الولايات المتحدة وعدد من الدول الغربية الأخرى.

وأشار الخبير الروسي إلى أن هذه التطورات إضافة إلى التصريحات القاطعة للخارجية الأميركية تدل بوضوح على أن «الغرب قام في سورية بتكثيف أنشطته التي تهدف بالدرجة الأولى إلى تغيير النظام الرسمي».

وأكد دولغوف في هذا السياق أن زيارة شويغو كانت تهدف إلى استطلاع الأوضاع على الأرض ومعارضة مساعي شركاء روسيا الغربيين.

كما أشار دولغوف إلى أن تصعيد التوتر بين موسكو وواشنطن نجم أيضاً عن التصريحات التي أدلى بها مؤخراً البنتاغون واتهمت القوات الجوية الفضائية الروسية بتوجيه ضربات إلى مواقع مجموعات «المعارضة السورية المعتدلة» في مدينة التنف في 16 حزيران.

وتعليقاً على هذه الاتهامات، قال الخبير الروسي: «من الصعب للغاية أحياناً الفصل بين مجموعات متطرفة وغير متطرّفة... عسكرياً، تقع هذه المجموعات أحياناً قريباً جداً من بعضها، وأحياناً المجموعة، التي وقّعت الاتفاقية، وبعد هذا تقوم بخرقها وتعمل تحت اسم آخر، تشكل تحالفاً مع مجموعات راديكالية، وبعد ذلك تخرج منه. في هذه الظروف، من المحتمل أن يتم توجيه ضربات مماثلة، ولاحظتُ عندما كنت في سورية أن بعض المجموعات تستخدم هذا التكتيك، ويعمل أحياناً بعض القادة الميدانيين بصورة مستقلة».

TIMESONLINE

«تايمز»: بريطانيون إلى جانب «داعش» في ليبيا

نشرت صحيفة «تايمز» البريطانية تقريراً حول التحاق بريطانيين بتنظيم «داعش» في ليبيا.

وبحسب التقرير، فإن قرابة 20 بريطانياً يقاتلون في ليبيا إلى جانب مجموعات إسلامية من بينها «داعش» الذي يحاول الحفاظ على معقله الأخير في البلاد.

بحسب مسؤولين ليبيين، فإن القوات الموالية لحكومة الوفاق الوطني حققت مكاسب كبيرة في معاركها لاستعادة السيطرة على مدينة سرت.

ونقلت الصحيفة عن مصادر استخبارية قولها إن بعض البريطانيين فرّوا من سورية نتيجة لغارات التحالف الدولي ضدّ التنظيم، بينما سافر آخرون إلى ليبيا من بريطانيا مباشرة.

ويتّخذ تنظيم «داعش» من مدينة سرت معقلاً له، كما أن لديه شبكة من معسكرات التدريب في ليبيا، بحسب الصحيفة.

وأشار التقرير إلى أن هجوماً لمجموعات مسلحة متحالفة مع حكومة الوفاق الوطني الليبية الجديدة أدّى إلى طرد مسلحي التنظيم من مناطق واسعة في سرت.

تقرير

لماذا تفضّل إدارة أوباما حركة «أحرار الشام» في سورية؟

كتب موقع «تروث أوت» الإخباري: في خطوة خطيرة أخرى للسياسة والدبلوماسية الأميركيتين في سورية، تنحرف إدارة أوباما عن مسارها لحماية مصالح أقرب وأقوى حليف لتنظيم «القاعدة» في سورية، حركة «أحرار الشام».

قرار الإدارة الأميركية حماية الحركة الإسلامية من عواقب التعاون الوثيق مع فرع تنظيم «القاعدة» في سورية، «جبهة النصرة»، في تهديد لوقف الأعمال العدائية، يتجاوز مجرد فشل الولايات المتحدة في الضغط على جماعات «المعارضة المسلحة» الأخرى لفصل نفسها عن «جبهة النصرة»، كما وعدَ وزير الخارجية الأميركي جون كيري في المفاوضات مع نظيره الروسي سيرغي لافروف.

ثمة اعتقاد سائد بأن جماعة «أحرار الشام» هي أكبر قوة عسكرية تسعى إلى الإطاحة بنظام الأسد في سورية، فهي تضم بين صفوفها نحو 15 ألف جندي على الأقل. لا يرى المحللون الذين تابعوا تطور الحركة أنها منظمة «جهادية» مثل «جبهة النصرة»، لأنها لم تُبد أيّ اهتمام بممارسة الإرهاب ضدّ الدول الغربية. ومع ذلك، فقد كان لبعض من كبار قادتها علاقات وثيقة مع الجهاديين في الماضي، من بينهم أسامة بن لادن، كما عملت الحركة بشكل وثيق مع «جبهة النصرة» منذ دخلت كلتا المنظمتين الصراع السوري في عام 2011.

حركة «أحرار الشام» لم تساعد فقط «جبهة النصرة» في السيطرة على محافظة إدلب في السنة الماضية، إنّما انضمت أيضاً إلى «جبهة النصرة» في هجوم في مدينة حلب أوائل نيسان الماضي، فيما اعتُبر انتهاكاً سافراً لاتفاق «وقف الأعمال العدائية» التي توسطت فيه الولايات المتحدة وروسيا. وفي تطور آخر كان ينبغي أن يقلق واشنطن، استخدمت حركة «أحرار الشام» صواريخ مضادّة للطائرات تُطلق من على الكتف لإسقاط طائرات النظام السوري في آذار ونيسان من هذه السنة. أنظمة الدفاع الجوي المحمولة على الكتف، التي حاولت إدارة أوباما إبعادها عن الحرب السورية، زادت من احتمال أن حلفاء حركة «أحرار الشام» ربما يحصلوا على أسلحة خطيرة مثل هذه الصواريخ.

ولكن بدلاً من التعامل مع حركة أحرار الشام كما تمّ التعامل مع «جبهة النصرة»، في سياق وقف إطلاق النار الذي دخل حيّز التنفيذ في 27 شباط الماضي، تتعامل إدارة أوباما مع حركة «أحرار الشام» برفق شديد.

في كانون الأول الماضي، أعطت إدارة أوباما مسؤول العلاقات الخارجية لحركة «أحرار الشام»، لبيب النحاس، تأشيرة لزيارة الولايات المتحدة لبضعة أيام في مهمة لحشد الدعم السياسي في واشنطن لدور الحركة المستقبلي في سورية. وكانت زيارة النحاس إلى واشنطن سرّية في ذلك الوقت ثمّ كشف عنها موقع «ماكلاتشي» في 21 أيار الماضي.

نظراً إلى سياسة السفر المقيدة للغاية في الولايات المتحدة، التي ترفض بشكل روتيني منح تأشيرات لأي أشخاص لديهم اتصالات مع المتطرفين، فإنّ منح مسؤول رفيع من «أحرار الشام» تأشيرة دخول إلى واشنطن له أهمية سياسية واضحة.

في الواقع، التقى النحاس بالمبعوث الأميركي الخاص لسورية مايكل راتني في اسطنبول أوائل كانون الأول الماضي. وقد قرّرت وزارة الخارجية الأميركية إدراج حركة «أحرار الشام» بين جماعات «المعارضة» لدعوتهم للمشاركة في مؤتمر لـ«المعارضة السورية» في الرياض في الشهر نفسه.

كان الهدف من مؤتمر الرياض، التي نظّمته الولايات المتحدة مع حلفائها في المنطقة، التوصل إلى اتفاق في شأن تمثيل جماعات «المعارضة» في المحادثات السياسية التي ستُعقد مع نظام الأسد. ومع ذلك، في مؤتمر الرياض في 9 و10 كانون الأول الماضي، انسحب ممثل حركة «أحرار الشام» من المؤتمر بعد أن اشتكى من أن النتائج لا تعكس إصرار الحركة أنّ «المعارضة السورية» يجب أن يكون لديها هوية «مسلمة»، وهذا يعني أنّ الجماعات الإسلامية يجب أن تكون مهيمنة في تكوين فريق التفاوض.

مشاركة حركة «أحرار الشام» في الهجوم الذي قادته «جبهة النصرة» في 3 نيسان كان مؤشراً أكثر موثوقية بكثير لنواياها السياسية والعسكرية مما ظهر في مؤتمر الرياض. في محاضرة مرئية يوم 29 أيار، أوضح نائب القائد العام لحركة «أحرار الشام» المهندس علي العمر، أنّ مشاركة الحركة في المحادثات السياسية هي جزء من استراتيجية «تقسيم أعدائنا أو تحييدهم».

وكان الردّ الروسي على سلوك حركة «أحرار الشام» التخريبي، تقديم اقتراح في أواخر نيسان بوضع الحركة على القائمة السوداء ووضعها خارج إطار اتفاق وقف إطلاق النار. وهذا يعني أنّ الولايات المتحدة يجب ألّا تصرّ على أن تتجنب روسيا والنظام السوري استهداف حركة «أحرار الشام» في الضربات الجوية. ولكن إدارة أوباما رفضت هذا الاقتراح الروسي، وكشفت عن الوضع الجديد لحركة «أحرار الشام» في سياسة الولايات المتحدة الآن. وفي 24 أيار الماضي، عندما سئل المتحدّث باسم وزارة الخارجية الأميركية، مارك تونر، لماذا ينبغي منح حركة «أحرار الشام» أي نوع من الحماية بموجب اتفاق «وقف الأعمال العدائية» على رغم انتهاكها وقف إطلاق النار، أجاب تونر أنّ الحركة هي جزء من مجموعة «قوى المعارضة» التي هي جزء من «لجنة المفاوضات العليا». وقال أيضاً إنّ وزارة الخارجية اعتقدت أنّ الاتفاق مع الطلب الروسي سيكون له تأثير ضارّ على وقف الأعمال العدائية.

وصف تونر «لجنة المفاوضات العليا» بأنها متعدّدة الأطراف، ما يعكس تورّط حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة وكذلك روسيا وغيرها من القوى العالمية. وأشار ردّه إلى أنّ إدارة أوباما قرّرت منح حركة «أحرار الشام» مكانة خاصة كجزء من «المعارضة المشروعة».

لكنّ نقطة التحوّل الحقيقية في موقف الإدارة الأميركية تجاه حركة «أحرار الشام» كانت في بداية 2015 عندما أنشأت تركيا، بالتعاون مع المملكة العربية السعودية وقطر، «غرفة عمليات» للتخطيط لهجوم كبير من قِبل «جيش الفتح»، تلك القيادة المشتركة التي تقودها «جبهة النصرة» وحركة «أحرار الشام»، من أجل السيطرة على محافظة إدلب واستعادتها من أيدي القوات الحكومية السورية في آذار ونيسان عام 2015.

أشارت تلك العملية إلى بداية علاقة أوثق بكثير بين تركيا وحركة «أحرار الشام». ومنذ ذلك الحين، أصبحت حركة «أحرار الشام» مشروعاً تركياً في سورية، كما قال فيصل عيتاني، صحافي مقيم في «مركز رفيق الحريري لدراسات الشرق الأوسط»، في حواره مع موقع «تروث أوت». ويرى عيتاني أنّ هذا كان السبب وراء رفض إدارة أوباما التخلّي عن حركة «أحرار الشام» على رغم الاستهزاء العلني بوقف إطلاق النار.

وعلى مدار السنة المنصرمة، أوضح بعض المسؤولين في واشنطن، بمن فيهم السفير الأميركي السابق لدى سورية روبرت فورد، أنه على رغم موقفها الإسلامي المتشدّد، إلّا أنه من المهم استبعاد حركة «أحرار الشام» من أيّ عملية سياسية تهدف إلى تسوية الأزمة السورية. واقترح آخرون أنّ حركة «أحرار الشام» قد تلعب دوراً بارزاً للحدّ من قدرة «جبهة النصرة». وكتب تشارلز ليستر، خبير الشؤون الجهادية في معهد دراسات الشرق الأوسط، أن بعض المسؤولين في الجماعات الإسلامية في سورية يعتقدون أنّ علاقة حركة «أحرار الشام» الوثيقة مع «جبهة النصرة»، هي الطريقة العملية الوحيدة للسيطرة على سلوك «جبهة النصرة».

هذا ليس استعداداً لإنهاء العلاقة مع «جبهة النصرة»، ناهيك عن مواجهتها. لقد عارضت حركة «أحرار الشام» بعض من أقسى تطبيقات الشريعة الإسلامية التي فرضتها «جبهة النصرة» في المناطق التي اجتاحها التحالف المناهض للأسد في إدلب.

لكنّ حركة «أحرار الشام» لديها الكثير من القواسم المشتركة مع «جبهة النصرة» تجعل من غير المحتمل الصراع معها. مثل «جبهة النصرة»، تطالب حركة «أحرار الشام» بنظام سياسي في مرحلة ما بعد الأسد يدعو إلى «دولة إسلامية تحكمها الشريعة الاسلامية»، وتؤيّد الحركة أيضاً كراهية «جبهة النصرة» للأقلية العلوية، التي تشير إليها بمصطلحات مثل الشيعة «النصيريين» و«الرافضة».

وقد كان التعاون العسكري بين حركة «أحرار الشام» و«جبهة النصرة» متكاملاً، لدرجة أنّ «جبهة النصرة» رأت هذا التعاون باعتباره مصدراً للأسلحة، وفقاً لمقاتل سابق من «جبهة النصرة» غادر سورية، كان يشير إلى الأسلحة التي قدّمتها الأطراف الخارجية، خصوصاً تركيا وقطر والمملكة العربية السعودية، إلى حركة «أحرار الشام».

ولعلّ العامل الأكثر حسماً الذي يربط حركة «أحرار الشام» بـ«جبهة النصرة»، أنّ الحركة تخشى إثارة مواجهة مع «جبهة النصرة» في شأن سياسات الأخيرة. كما لاحظ آرون لوند، أبرز المتخصّصين في الحرب السورية وصحافي غير مقيم في مركز كارنيغي للسلام الدولي، أنّ حركة «أحرار الشام» ربما تشعر بأنها ضعيفة للغاية ومنقسمة داخلياً للوقوف في وجه حليفها الجهادي. ولذلك، فإن أيّ مواجهة مع «جبهة النصرة»، من المرجح أن تقسّم حركة «أحرار الشام» وتُضعفها بشكل كبير بين عشية وضحاها.

من الناحية العملية، لا فرصة لعرقلة حركة «أحرار الشام» مسارَ «جبهة النصرة» نحو السلطة. ونتيجة لذلك، فإنّ تدليل إدارة أوباما إلى الحليف الرئيس لـ«جبهة النصرة»، أبعد ما يكون عن علاقاتها بالحلفاء الإقليميين ـ خصوصاً مع تركيا ـ من قلقها المعلن إزاء إنهاء الصراع السوري.